

اجتهادات أخلاق زائفة

لم يعرف العالم طريقه إلى التقدم إلا بعد المعارك التي أتاحت التحرر ممن نصبوا أنفسهم حراساً للدين والفضيلة والأخلاق، فتحررت مناطق وبلدان كثيرة في العالم من القيود التي يفرضها من يزعمون أنهم يحرسون الدين والأخلاق. لكن العالم العربي ظل أسير هذه القيود التي أسهمت في إعاقة محاولات النهوض به⁰ بسبب الحراس المزيفون في حرمان العرب من الاستفادة من حكايات ألف ليلة وليلة، التي تُعد أحد أهم الأعمال الكلاسيكية في تاريخنا. ورغم صعوبة معرفة أصلها بدقة، يسهل استنتاج أنها عربية إيرانية الأصل في ضوء أسماء الأشخاص الحقيقيين الذين وردوا فيها، وفي مقدمتهم هارون الرشيد، وجعفر البرمان، وكسري. استفاد الأوروبيون، وآخرون غيرهم في العالم من هذا التراث، ومازالوا يدرسونه بعمق حتى اليوم كما نرى في كتاب موسوعة الليالي العربية الذي ترجمه المركز القومي للترجمة أخيراً⁰ يقدم مؤلفا الكتاب الانجليزيان أورليش مارزوق وريتشارد خان ليفن بحثاً عميقاً في معاني ألف ليلة وليلة ومفرداتها، وأسلوب السرد، ويحلان أكثر من 500 من حكاياتها. إنه عمل موسوعي بحق بذل مترجمه الناقد الكبير سيد إمام جهداً كبيراً فيه تجاوز الترجمة إلى تحقيق ضمني معتمداً على معرفته الواسعة بالحكايات نفسها. لقد أسهمت ألف ليلة وليلة في إثراء الأدب الغربي، واستلهمها عدد كبير من الأدباء على النحو الذي عالجه الكاتب المبدع أحمد سويلم في كتابه (استلهامات ألف ليلة وليلة في الشرق

والغرب)، منذ أن تُرجمت إلى لغة أجنبية للمرة الأولى عن طريق الفرنسي أنطوان دالان في مطلع القرن الثامن عشر.

استفاد الغرب، والعالم عموماً، من حكايات ألف ليلة وليلة، في الوقت الذي حاربها حراس الأخلاق المزيّفون في بلادنا، وسعوا إلى منع نشرها منذ أن انتبه بعضهم إلى الطبعة المنشورة عام 1960 (طبعة مصطفى البابي الحلبي). أثرت ألف ليلة وليلة تيارات أدبية غربية بكاملها، وفي كثير من إبداعات أدب الفانتازيا الحديث، بينما اقتصر أثرها على المستوى العربي في عدد محدود للغاية من الأدباء والكتّاب. وليست هذه إلا إحدى الخسائر المترتبة على عوائق يضعها في طريق بلادنا حراس الدين والأخلاق المزيّفون الذين يُكفّرون أو يُحرّمون الخيال والإبداع.